

فيصل بن علي بن فيصل
من أحرار مسقط

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز بن
يحيى بن
المؤيد بن
الإسكندرية

سيطان واستعمار

مطابع دار الكتاب العربي
مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة

الإهداء

إلى الأحرار من أبناء الأمة العربية أهدي هذا الكتاب ليتأملوا فيه الصفحات السوداء للاستعمار والسلطان الذي جعل من نفسه خليفة الله في أرضه فكانت كلمته قانوناً وأمره عقاباً أو ثواباً وشعبه سواهم عنده بسخره في طاعته وكما تقتضيه مصالحه الخاصة .

وإلى أولئك الذين جعلوا من أنفسهم عبيداً أذلاء للمستعمرين وصنيتهم يتملقونه ويتفانون في إرضائه ، عليهم عند ما يقرأون هذه الصفحات الدامية من حياتهم تستيقظ مشاعرهم وتتحرك ضمائرهم لتدافع عن كرامتهم وحريتهم في سبيل البقاء .

تعريف بالمؤلف

مؤلف هذا الكتاب شاب من أحرار مسقط لم تمنعه صلته
بالسلطان — ابن عم السلطان — من أن يثور على الأوضاع القائمة
في بلده ... لم يرد أن يسير في ركب الاستعمار والظلم فأثر الحرية والنور
وترك منصبه الكبير في وزارة خارجية سلطان مسقط لينضم للمجاهدين
الصادقين وليساهم بعلمه وقلمه وجهاده في تثبيت دعائم القومية العربية
المتحررة .

وسيجد القارئ في هذه الصفحات آيات من البيان الحر الصادق
والإخلاص للوطن وعشق الحرية والتحرير، وإن كان سوء الحظ
أن يسود كل هذا مجرد ذكر اسم السلطان .

المؤلف



فيصل بن علي بن فيصل

ابن عم سلطان مسقط

الأستاذ المكنون
عبد العزيز بن محمد
نائب رئيس اللجنة التنفيذية
الأساسية
الاستراتيجية

صنيفة الاستعمار الأكبر

لكي تفهم الموقف في مسقط ،
لا بد من فهم عقلية السلطان وتاريخه ونشأته ،
فإن ما يحدث في مسقط ،
هو نموذج للحكام الذين يصنعهم البريطانيون في المنطقة .

السيد

السيد بلغة هؤلاء القوم معناها الصحيح من ساد قومه ، وتطلق على كل من يجرى في عروقه الدم الأزرق . ويتوارث هذا اللقب الأحفاد عن الأجداد زهواً وفخراً .

و « سيدنا » هذا هو رأس تلك الأسرة البائسة الذليلة وصاحب الكلمة العليا في البلاد ، فلا رادع يردعه من قبل الشعب ولا ضمير يؤنبه من قبل نفسه . وبهذه السلطنة المطلقة تعامى عن الشعب والضمير والواقع وتعامى حتى عن العالم الخارجي وما يحيط به في هذا العالم من هزات شعبية تدك العروش وتؤسس الحكومات .

هو لا يهمه من هذا العالم الخارجي سوى عالمه الخاص ولا يحاول التفاهم مع أية حكومة سوى الحكومة البريطانية التي نصبته واستعمرته هو وأجداده فجعلته سنداً يسندها ويركز أقدامها في البلاد وجعلها هو صديقاً وهورناً عند المللّات .

بهذه الروح والضمير يعيش « سيدنا » في هذا الكون الذي تتطاحن فيه الشعوب من أجل البقاء وتراق الدماء في سبيل الحرية والعدالة والحياة الكريمة الأبية .

كيف نسي أن خنق الحريات لا يدوم وأن سياسة إبقاء الوضع على حالة لا تدوم أيضاً ؟ كيف نسي أن العالم يتقدم ولا يمكن أن يذعن لأمره

فيقف؟ أليظن أن التطورات الفكرية لن تصل إلى أرضه مادام هو يحكمها أو أنه سيكون كالنعامة عندما تدق الساعة؟

صفحات « سيدنا » ملأى بالمآسى الإنسانية التي ينسكرها الواقع والضمير الحى ولكن « سيدنا » ربما تخيل نفسه رسولا عند قومه معصوماً من الهفوات فتخبط في سياسته عييناً وشمالاً كلما أراد قمع أى تطور أو شمر رأخته وكانت نتيجة التخبط هذه الصفحات السوداء الدامية التي هى مرآة تعكس صورته أمام شعبه وشعوب هذه الأمة العربية .

أرض « سيدنا » تحتها كنوز وفوقها كنوز . ففي باطنها الذهب الأسود والمعادن والآثار والخيرات وعلى ظهرها التربة الخصبة والماء الفياض . ورث هذه الأرض عن أجداده كما ورثها الأجداد عن الأسلاف فوصلته لقمة جاهزة لم يكافح بعرقه من أجلها ولم يخسر شيئاً من ماله فى سبيلها . بل جاهد أول ماتبوا لتوطيد نفسه ودعم اقتصادياته فكون له بعد أعوام رأسمال يقويه ويحميه من غضبة شعبه . وما هذا المال ماله الخاص الذى ورثه مع أرضه ولكنه مال الشعب ابتزه منه رسوماً وضرائب فرضها عليه .

إنه — لسوء حظه — ورث الأرض وما عليها بلا مال فى جزيفته بل كان عجزاً فى ميزانيته . ولكنه باقتصاده الاستغلالى المصاص للدماء الشعب سدود ديونه ووفر المال كمنواة للمستقبل فى خزائنه . وكان من نتيجة هذا العمل أن تبجح هو وأذناؤه وأشادوا بكائه وحنكته وكياسته

وسداده واقتصاده . وما درى هؤلاء المساكين أن « سيدنا » لا يختلف عن ذلك الإقطاعى الذى يتنعم ويجمع المال على حساب فلاحيه فهم يشتغلون ويكدون ويحبون له الرزق والخيرات ولكن بدون أن يشاركوه أو يحاسبوه أو حتى يسألوه .

الفلاحون أجراء فى أرض ذلك الإقطاعى وشعب « سيدنا » عنده عبيد أرضه يأمرهم فيطيعون وينهاهم فيرتدعون . كأن الله أرسله رسولا ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى .

هذه الأرض التى يملكها « سيدنا » واسعة فى المساحة وغنية بالمحاصيل ولكن سياسة « سيدنا » لم تحاول استثمار الأرض للمنفعة العامة وإدخال بعض الإصلاحات العامة لمكافحة الفقر والجهل والمرض . بل كانت سياسة « سيدنا » هى صورة تطبيقية للدروس التى تلقنها من مدرسة الاستعمار فى الهند أيام الاحتلال .

أرسله أبوه وهو فى سن الصبا إلى مدرسة للنبلاء والأمراء فى الهند هى كلية مايو ليتلقى هناك تعليمه الثانوى والاستعمارى . وكانت هذه المدرسة مقصورة على الأمراء من الهنود وغيرهم أنشأها المستعمر ليلقن فيها أساليب الحكم التى صنعها بنفسه ويتخذ من هؤلاء مطايا لأغراضه ومراميه ، وهكذا قضى « سيدنا » حقبة من عمره بين جدران هذا المعهد يتلقى العلم والحكمة وأساليب الحكم على يد أساتذة الاستعمار وأذئابهم .

ومنذ ذلك العهد نشأت في قلبه الثقة بالمستعمر الذي فتح عينيه ليحميه
ويسهل له تطبيق السياسة المشتركة . فما كان منه إلا أن رسم لنفسه خطة
لحياته يضمن فيها حاضره ومستقبله . فقسم أرضه إلى قسمين وفصل بين
القسم الشمالي « مسقط » والجنوبي « ظفار » واختار لنفسه الأرض
الجنوبية « ظفار » لأنها أرض بكر وأهلها بدائيون ، وتجلت سياسته
الاستعمارية في هذه الأرض التي قدر لها أن تفصل عن العالم الخارجي
تماماً وحتى عن الأرض الشمالية التابعة له لأن « سيدنا » كان يرى
ولا يزال بنظرته البعيدة أن دخول أى حدث خارجي يقلقل مركزه ويهدد
مستقبله ففرض قوانين وأنظمة صارمة في هذا القسم الجنوبي من أرضه
ليضمن كل شيء في قبضة يده .

القسم الجنوبي « ظفار » من أرض « سيدنا » يختلف طبيعة
وأرضاً عن القسم الشمالي « مسقط » وأهله نيهم من الذكاء والمخاطرات
أكثر مما في الشمال . كما أنه يمتاز بالسكنوز الأثرية القديمة التي بدأ
التنقيب عنها كما بدأ الذهب الأسود يسيل على أرضه .

فصل « سيدنا » هذا القسم من أرضه عن القسم الشمالي فصلاً
سياسياً وإدارياً ومالياً وكرس جهوده في استثمار هذه الأرض واستغلال
أهلها ، فبث الجواسيس والعميون وفرض الرقابة واحتسكرك التجارة الخارجية
والداخلية وفرض عليها رسوماً لا يتحملها كل فرد فضمن لنفسه اقتصاديات
البلاد كما ضمن لنفسه امتيازات البترول والآثار . وبهذه السياسة تلك

كل شيء فأجبر كل فرد على الطاعة العمياء والخضوع للقوانين التي صنعها لهم ، وأصبحت هذه الأرض الآن مزرعة له وأهلها عبيده ، وكل ما عليها وما في داخلها ملكا له لا يشاركه فيه أى مشارك . وجنون السلطة المطلقة هي إحدى أمانيه في الحياة وملذاته . فتراه يقضى العام والعامين في هذه الأرض التي سنطلق عليها « المزرعة » مطلقاً لنفسه العنان في الراحة وملذات الصيد غير ملتفت إلى القسم الشمالى « مسقط » من أرضه وما يجرى فيه من أحوال فهو يكتفى بتصدير الأواصر إلى موظفيه بالتلغراف لينفذوها غير عابىء بالنتائج الوخيمة التي تقع على كهولهم أحياناً وتشبه سياحة « سيدنا » هذه بتصدير الأواصر من مزرعته إلى عاصمة ملكه أوامر « باوداى » ملك فيتنام الذى كان يصدرها إلى وزرائه بالتلغراف من ساحل الريفيرا في فرنسا وهو يلهو بين أحضان الغانيات في أحد قصوره وضيعاته فما كانت النتيجة إلا أن تنبه شعب فيتنام إلى هذه المهزلة فخطم العرش وكافح المستعمر الذى كان يؤيد صاحب العرش ثم حرر نفسه وكان النصر للشعب صاحب الكلمة العليا .

وأنا لأشك أن يكون مصير « سيدنا » مثل مصير أخيه « باوداى » فكلاهما ذنب المستعمر وربيبهم وكلاهما لا يعترف بحقوق الشعب ، كما أن كليهما له ملذاته الخاصة وجوه الخصاص لهذه الملذات .

هذه المزرعة « ظفار » أو الأرض الجنوبية هي دنيا سيدنا وعالمه الخصاص فهو لا يبغي ملذات عالم الحضارة كما ينشدها فاروق وباداى بل

بمذااته هي مزرعته وما تحويه من وسائل نعيمه في الحياة . وهو في هذه المزرعة يتحرر من قيود الرسميات ولا يرى الوجوه التي تسكره وتشاركه الملكية . فتراه يتطلق في براري الصيد مع عبيده وأذنا به أو تراه قاعداً لسماع تقارير عيونه وإصدار أوامره . وهو إن جلس إلى مكتبه للعمل فإنه لا يجلس لإدارة عمل ذي فائدة بل للتخريب وقمع كل بادرة .

هناك مشروعات كثيرة لهذه الأرض الجنوبية ، المزرعة «ظفار» ، لأجل تحسين مستوى المعيشة والتقدم . ولكنه يهمل كل مشروع من هذا النوع ولا يفكر إلا في المشروع الذي يغدق على خزينته الخاصة المال . همه من وراء كل مشروع جمع المال له لحسابه الخاص ولكن لأيهم المشروع الذي يعود بالفائدة على الأرض وأهلها .

التعليم ما زال صورياً بالرغم من مضي أكثر من عشرة أعوام على فتح المدرسة الوحيدة للمزرعة «ظفار» وبالرغم من الذهب الأسود الذي بدأت الأرض تمنحه لساكنيها وحاجة الأرض لمن يدير أعمالها ويمسك أمورها . ولكن كما يقول المثل : هذه المدرسة ما هي إلا « ذر للرماد في العيون » كي يوهم الناس بأنه توجد مدرسة ويوجد تعليم في البلاد . حتى الصحة لا يوجد من يقوم بأمرها إذ لا يوجد طبيب واحد ذو شهادة طبية يعتنى بسكان هذه المزرعة البالغ عددهم حوالي عشرين ألف نسمة . وكل ما هنالك طبيب غير مؤهل لا يعرف من المهنة إلا عشورها والتدريب مجاناً على أرواح الناس بأمر « سيدنا » وهذا الرجل

الذي يزاول الطب هو الطبيب الرسمي « سيدنا » كما أنه طبيب سكان
العزبة كلها .

بهذه الصورة يبید « سيدنا » السكان في ظفار ويميتهم موتاً بطيئاً
في حين أن في وسعه أن يمتني بهم وينقذ حياتهم من الأمراض التي
تنهشهم والتي تتغلغل بينهم على مر الزمان .

تركوا له خيرات الأرض تدر عليه المال الوفير من جوفها وظاهرها
فضن عليهم بمستشفى يخفف آلامهم ويعالج مرضاهم .

« وسيدنا » برغم تعليمه الحديث مازال متمسكاً بتقاليد أجداده ،
فله من السراري عشرات يعش معهن في حصنه وحياتهن هي حياة الحریم
لا يختلطن ولا يختلطن ولهن رقيب خاص من حرس سيدهن هو
الواسطة بينهن وبين عالمهن الخارجي .

وبجانب هذه السراري توجد زوجة حرة « سيدنا » هي أم ولي
عهده البالغ من العمر الآن سن الشباب . وقصة ولي العهد مأساة من
مآسي « سيدنا » فهو لم يعلمه حتى الآن التعليم الكافي ولم يدخله مدرسة
نظامية بل لم يرسله إلى الخارج للتعليم فأبقاه بين العبيد يتعلم القراءة
والكتابة ويلم بشئون المزرعة وأحوالها .

إذا كان يوجد في هذا العالم حدود للعلم والإنسانية فلا تفتش عليه
بعيدا بل هو أمامك ، هو سيدنا الذي حرم حتى ابنه من التعليم فمطل

مواهبه وتركه حملا بهم على وجهه ويقوده حينما يريد ؛ في حين كان
في استطاعته أن يبعث به إلى البلاد العربية أو إلى أى بلد بأوربا .
نظرة « سيدنا » بعيدة في هذا فهو لا يريد أن يتعلم ابنه ويفتح
عينيه على الحقائق والحياة فينقلب عليه أو ينافس قبل الأوان . بل همه
أن يبقى جاهلا يعيش عقله في الظلمات وليس حظه في الحياة إلا الأكل
والنوم وتلقى الأوامر . فسياسة « سيدنا » رسمها وطبقها حتى على ابنه
رولى عهده ليضمن لنفسه البقاء وعدم المنافسة من أى شريك . وربما
لا يهمه من يأتى بعده ويملك أرضه وأمواله ولكن يهمه أن يعيش بلا
منافس أو شريك أو حتى معترض ومنتقد .

الانتقاد عند « سيدنا » حتى العادل منه تهمة وجناية وصاحب
الانتقاد معرض للتوبيخ أو الانتقام الغير مباشر .

ليس الانتقاد فحسب تهمة عند « سيدنا » بل حتى النصيحة . وتروى
قصة طريفة عن هذا السياق بأن « سيدنا » حضر حفلة عامة بمناسبة
المولد النبوى في مسقط عاصمة مسكه فتليت السيرة النبوية والناس
صامتون وبعد انتهائها كرر أ كبر أعمامه « نادر » الجملة الأخيرة من السيرة
النبوية وهى « وشاورهم فى الأمر » وكان تكرار هذه الجملة موجها إلى
« سيدنا » أكثر مما هو لنفسه . فسمع « سيدنا » ما تقوه به هذا العم
فدارت به الدنيا وما استطاع إلا أن يمدجه بنظرة شرراء لفتت إليها
العيون القريبة ونكس الناقدون والأذئاب والجبناء من الحاضرين

رؤوسهم حياء وخوفا . وانفض الحفل وعم « سيدنا » لا يدري هل
نطق جرما وأغضب الآلهة أم نطق الصدق وتلاقول الحق .

ما من أحد إلا عاتب العم المسكين واتهمه بالجريمة وبعضهم دافعوا
عنه فوصفوه بالخرف والجنون وكبر السن . وبقى هذا العم مبلبل
الفكر بين أولئك وهؤلاء وما اكتفى « سيدنا » بالأهانة التي ألحقها
بسمه بتلك النظرة الشذراء بل عاقبه عقابا اقتصاديا وأجبره في النهاية على
الاستغفار وطلب العفو والرحمة . وهكذا ختمت هذه المسألة وانتصر
« سيدنا » فأعطى درسا لكل من يتجرأ عليه بكلمة أو بنصيحة من
أفراد عائلته . حتى ولو كانت النصيحة استشهادا بآية قرآنية أو
حديث شريف .



هذه الأرض الجنوبية « ظفار » المزرعة هي الوطن « سيدنا »
ففيها بيته وزوجته وأبناؤه وسراريه وحرمة . وهو ينشئ هذه الأرض
ويبنئها كإينشيء المهندس مدينة جديدة . فترى « سيدنا » يكذب
بذكائه في نصميم هذه الأرض كما توحى إليه مصالحه الخاصة أو شركات
البترول ولا يبالي إن قاسى الشعب وكانوا ضحايا .

بنى له في هذه « المزرعة » قصرا عظيما محاطا بالأسوار وأنشأ له
حديقة كبيرة تعتبر نموذجية في هذه الأرض وأدخل فيها أنواع المزروعات
لتسكون جنته ونعيمه وعمل له محطة كهرباء يستمتع بها هو وحرمة

وبعض أذنايه المقر بين وحرم أفراد شعبه من استعمال السكر بآء حتى لو طلبوها بفلوسهم . وربما لم يخطر ببال « سيدنا » أن السكر بآء ضرورية حتى للعبيد فهى عنده كآلية لهم وضرورية له هو فقط ولذا تراه يصدر أوامر صارمة بغلاق محطة السكر بآء وعدم استعمالها فى أثناء غيابه عن « المزرعة » ، حتى أبناؤه وحريمه وأذنايه يحرمهم من استعمال نور السكر بآء ويعاملهم معاملة العبيد عندما لا يكون هو موجودا بالمزرعة ، حتى ولو امتدت غيبته سنوات .

وهو حاذق فى سياسته الإدارية فقد ترك شئون المزرعة وإدارتها تحت مسئولية رجل سماه « واليا » ، وأمور القضاء والأحكام بيد رجل آخر سماه قاضيا . وهذان الرجلان يحكمان كما ترسم لهما سياسة « سيدنا » وأوامره الخفية ، فما هما إلا خادمان يلبيان الأوامر . و « سيدنا » بهذه السياسة يخدع الجمهور ويوهمه بأن من يحكمه هما الوالى والقاضى كما يفعل المستعمرون فى بعض مستعمراتهم يحكمون وينفذون بواسطة أمراء وطنيين فيعتقد الشعب بأن المستعمر لا يحكم وإنما هو الأمير الذى يحكمهم .

و « سيدنا » له حرسه الخاص جاهم من هذه الأرض الجنوبية — ظفار — وبعض هؤلاء عبيد بالمال وبعضهم عبيد أحرار . وهو يرفه عنهم فى عيشتهم وحياتهم ما داموا صاغرين مطيعين طاعة عمياء لأوامره وقوانينه الصارمة . وهم إذا مرت بهم أثناء حراستهم تراهم واجمين

صامتين كالتماثيل يرتجفون من مولايم إن فاجأهم أو مر أمامهم لأنه
قاس في تعذيبهم شديد عليهم .

وهؤلاء الحرس من العبيد يقاسون الأهوال في داخل نفوسهم
وما ينكشف منه يعطينا صورة واقعية . وهناك مأس خفية كثيرة لا علم
لأحد بها في الخارج ولكن هذه المأساة الواقعية لا بد أن تكون صورة
لإحدى تلك المآسي المتكررة على مر الأيام .

فقد حدث منذ عهد قريب جداً في الأرض الشمالية — مسقط —
عاصمة ملك « سيدنا » أن غضب « سيدنا » يوماً لسبب من أسبابه
الكثيرة على أحد حرسه من العبيد فأمر بتعذيبه ، وهناك أنواع من
العذاب الذي تفنن في اختراعه لتعذيب هؤلاء الذين يخدمونه ويحرسونه
بل ربما يضحون حياتهم من أجله إن دقت ساعته ، فضرب هذا العبد
كما أمر « سيدنا » ضرباً مبرحاً بالسياط حتى سالت دماؤه وبرزت
لها آثار على جسمه . وكان هذا العذاب يستمر أياماً ، ففكر هذا العبد
في طريقة توقف هذا الجنون الأرعن عن تعذيبه بهذه الطريقة الوحشية
وتحميه فما اهتدى إلا لطريقة واحدة وهي الطريقة الوحيدة الغير مغلقة
أمامه والتي لا تخلو من الأخطار الجسام . فلم يبق ليئته تلك واستعد في
الفجر وتسلل خفية من القصر إلى الشارع هائماً على وجهه حتى وصل
إلى العلم البريطاني حامى حمى العبيد ومحررهم . فلف ذراعيه حول ساريتيه
وظل يبكي ويروي قصة عذابه بدموع غزيرة وآهات خافتة تفتت

القلوب . وأخيراً جيء به إلى من يستدطقه ويعرف قصته فتلاها على حقيقتها وعيناه مخضلتان بالدموع بكلمات متقطعة لم يستطع أن يستجمعها . وأخيراً رأت السياسة البريطانية حلاً موفقاً وإن كان مخلاً بمبدأ العدالة والضمير الإنساني ولكنه تدعم لنفوذها وإرضاء لعين الحبيب ، وهكذا أعيد العبد إلى سيده فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار وطلب الحرية والعدالة فقيدهم إلى العبودية والعذاب . كلاهما تألبا عليه لأن مصالحهما مشتركة وكلاهما يدعم الآخر ويسنده عند الملمات . وهذه هي السياسة الاستعمارية التي لا تعرف الحق ولا تؤمن بالعدالة ولا تطبق حتى قانونها .

هذه القصة الواقعية ليست مأساة بل مهزلة من المهازل التي تجرى على مسرح أراضينا وأمام أعيننا على مر الأيام والسنين . ولا زلنا ننخدع بالأقوال المعسولة التي يلقبها في أسماعنا السادة وأذنانهم . ترى ماذا كان مصير هذا العبد بعد أن أعيد إلى سيده ؟ هل يكتفى « سيدنا » بالانتقام والتعذيب حياً أم بالقتل البطيء كما هي عادته ؟

كل من سمع هذه القصة تلك الأيام شدهوا لها بين مصدق ومكذب وبعض الأذئاب والمناققين لم يستطع أن يعلق عليها بل اكتفى بالابتسامة الصفراء ولا حول ولا قوة إلا بالله . أما بعض الأذئاب من « التنايل » فقد اهتدى عقله إلى دفاع يدافع به عن سيده أمام الناس فصرح بأن « سيدنا » سوف لا يمس ذلك العبد بأذى ضرر وسيبعثه حراً لوجه الله

عند ما يعيده إلى أهله في الأرض الجنوبية — ظفار — « المزرعة » .
وهكذا طويت صفحة من حياة عبد يعشق الحرية وينشد
العدالة .

لم يشأ « سيدنا » أن يمنح امتيازات الذهب الأسود والآثار
للشركات البريطانية في أرضه الجنوبية « المزرعة » مثلما منحهم في أرضه
الشمالية لأنه نظرت به البعيدة للماضي والحاضر والمستقبل أعطته درساً عن
نتيجة الامتيازات التي تمنح لهؤلاء وأولئك وكانت امتيازات القسم
الشمالي من أرضه درساً من تلك الدروس ، فقد انقضى أكثر من خمسة
عشر عاماً ولم تبدأ الشركة البريطانية صاحبة الامتياز بأى عمل أو تنقيب
للأرض في حين لم يمض عام واحد على الشركة الأميركية في الأرض
الجنوبية — ظفار — « المزرعة » إلا وبدأت الأعمال وأنشئت
المحطات وبدأ التنقيب . وبهذه السياسة كسب لنفسه أكثر مما كسب
سكان أرضه .

وكما فرض قوانين صارمة على سكان أرضه الجنوبية — ظفار —
« المزرعة » كذلك سن قوانين أشد صرامة على رجال الشركة وعمالها
الأجانب . فلمهم معسكرهم الخاص حيث يعملون ويسكنون ولكن
لا يسمح لأى منهم بالتنقل خارج المعسكر أو الذهاب إلى سوق المدرسة
وضواحيها إلا بأمر خاص من « سيدنا » وكل من يتجول من الأجانب

في المدينة وضواحيها لا بد من أن يرافقه حارس أو دليل من قبل «سيدنا» ليكون حاميهِ ويراقب حركاته وسكناته ثم يبلغها إلى مولاه .

يرمى «سيدنا» من هذه السياسة إلى إبعاد كل أثر لاختلاط الأجانب بالوطنيين من سكان المزرعة كي يبقى هؤلاء بدائيين على الفطرة لا يكتسبون شيئاً من الحضارة والمدنية . يريد أن يكون سكان مزرعته قانعين بحياتهم ولا يتطلعون إلى حياة الأجنبي التي يحياها لأنها في نظر «سيدنا» حياة فاسدة تعوج الأخلاق وتغير الشمايل والعادات والتقاليد التي فطروا هم عليها واكتسبوها على مر الأجيال . وهو بتعاليمه هذه لم انتحل شخصية جان جاك روسو الذي يدعو للطبيعة وترك المدنية والحضارة .

ليت «سيدنا» يضرب المثل بنفسه يوماً ما فيعيش كما يعيشون وكما فرض عليهم أن يعيشوا . ليته يتخلى عن قصره المنيف وما يحويه من وسائل الحياة المترفة ليقفدى به عبيده ويؤمنوا عندئذ بتعاليمه . وماذا لو تشبه بعمر بن الخطاب وضرب المثل لقومه في التضحية والمساواة ؟

إن «سيدنا» يطبق تعاليم الدين ويتشبه بالخلفاء الراشدين في المظاهر والنواحي التي تتعلق بمصلحه الخاصة ولكنه يضرب صفيحاً بالتعليم والمبادئ التي يدعو إليها الإسلام ورسوله ولا يبالي غضب شعبه أو ضميره أو حتى دينه إن خالف ذلك .

فن تعاليم الإسلام بل ضروريات العصر الحاضر نشر العلوم ؟

و« سيدنا » في هذه الناحية عدو للعلم والتعليم لأن العلم خطر عليه
يهدد مصالحه وربما يقوض عرشه وهو بهذا صارم وضع العقبات الكأداء
في سبيل من يطلب العلم في الخارج ثم وضع صورة خداعة للمدرسة في كل
قسم من أرضه لا تثمر ولا تؤدي الغرض المطلوب .

وهو لا يكتفى بعمله هذا في تعطيل مواهب شعبه بل يقف سدا
في وجه تقدمه لإجباره على قبول الوضع الراهن والقناعة بالحاضر .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد
ولكن « سيدنا » يقول اطلبوا العلم حتى سن الرابعة عشر أى بعد إتمام
الدراسة الابتدائية . نهاية التعليم عنده هي بلوغ هذه الشهادة الابتدائية
ولا يهمه إن تخرج الطفل من تلك المدرسة وهو بذلك السن فتلقفه
الشارع . لا يهم « سيدنا » إن عاد ذلك الطفل من أبناء الشارع أو أصبح
متسولاً أو حتى فراشاً ، لأنه قد أدى واجبه نحو شعبه من ناحية التعليم
فأراح ضميره . وربما يعتبر هذا منة على أفراد شعبه . وهو لا يعتبرهم
شعباً بل عبيداً وربما بهائم .

ويقول الرسول في حديث آخر « اطلبوا العلم ولو في الصين »
ولكن « سيدنا » يقول : اطلبوا العلم في أراضيكم واكتفوا به فهو
لا يشجع على طلب العلم في الخارج ولا يساعد على ذلك بل هو يمنع بعض
الأفراد ويجعل العقبات الكثيرة في وجوه الآخرين ممن لا علاقة قرابة
تربطه بهم .

وكما تفرض الدول قوانين للأجانب الداخلين حدودها والخارجين منها كذلك فرض « سيدنا » قوانين صارمة في أرضه الجنوبية — ظفار — « المزرعة » للداخلين والخارجين منها . وهذه القوانين ليست صارمة على الأجانب فقط بل على رعاياه سكان أرضه الشمالية — مسقط — التابعة له . إنه لا يسمح لأى فرد من سكان أرضه الشمالية أن تطأ قدمه القسم الجنوبي « المزرعة » إلا بأمر خاص منه . وهؤلاء الذين يسمح لهم يعتبرهم كأمى أجنبي يستخدمه من الخارج ويعاملهم معاملة الأجنبي كذلك ، فهم مراقبون في حركاتهم وتنقلاتهم بشبكة من جواسيسه المنبثقة في كل ناحية ومن خالف منهم القوانين تطبق عليه شريعة الغاب ويبعد إلى وطنه « الأرض الشمالية » — مسقط .

وهو لا يسمح لهؤلاء الأفراد من أرضه الشمالية بالإقامة الدائمة والاستيطان في المزرعة . فإقامتهم مؤقتة ولم إجازات يعودون فيها إلى وطنهم في الشمال، وإن أراد أحدهم أن يتزوج فيبإذن خاص من « سيدنا » على شرط أن لا تغادر الزوجة أرض القسم الجنوبي « المزرعة » وتتبع الزوج إلى الشمال .

ولا يوجد في « المزرعة » — ظفار — فرد من أقرباء « سيدنا » وإن جاءوا فبأمره ولوقت قصير . يريد أن يبعد عن هذه الأرض كل من ينتسب إليه من قريب أو بعيد لتبقى خالصة له لا شريك ينافسه

أو عنصر خطر يهدده . يريد من سكان « المزرعة » أن يبقوا عبيده طائعين بسخرهم لأغراضه ومصالحه الاستثمارية . يريد أن يكون كل شيء له ؛ ما على الأرض وما في جوفها وهو بعد ذلك يتفضل بالفتات وبقايا طعام مائدته ما يراه مناسباً لاخطر منه على صحة عبيده .

إرادات هذه الأرض الجنوبية — ظفار — « المزرعة » كثيرة وتتضاعف على سر السنين بل تقفز بصورة ملموسة . ولكن مع هذا التضاعف والقفز في ميزانية « سيدنا » لم يطرأ أى تحسن على مستوى السكان وحالتهم الصحية والتعليمية والاقتصادية .

الدخل لا ينفق إلا النزر القليل جداً منه على المرافق العامة أى بنسبة ٥ ٪ والباقي وهو ٩٥ ٪ يخزن في كنوز « سيدنا » بالحصن أو يحول إلى بنوك أوروبا وأمريكا احتياطاً للطوارئ . وعند ما تدق ساعته .

منذ أن وقعت شركات البترول والآثار الأمريكية امتيازاتها مع « سيدنا » وهي تدفع له الرسوم والمخصصات وهو مع هذا الدخل لا زال واضعاً القيود الاقتصادية وعمسكا بزمام التجارة الداخلية والخارجية .

وهو لا يسمح لأى تاجر من أرضه الشمالية — مسقط — بفتح محل تجارى فى « المزرعة » لأنه سيكون منافسه فى الأرباح بالرغم من حاجة « المزرعة » إلى رأسمال من الخارج كى يقوم اقتصادياتها وينشط تجارتها . والتاجر الذى سمح له « سيدنا » بفتح محل تجارى فى « المزرعة »

هو رجل هندي ليس من أهلها بل غريباً عنها فاتخذ « سيدنا » شريكه بل وكيه يقسمان الأرباح ويستنزقان دماء الأهالي . وهو إن خدع الأهالي شريكه هذا فإنه لم يستطع أن يخادع ضميره والأحرار في داخل أرضه وخارجها فالكل يعرف سياسته المستترة وما تستهدف من نوايا استبدادية .

فلو جئنا إلى هذا الدخل الذي يربو على مئات الألوف من الجنيهات في العام لهذه الأرض الجنوبية — ظفار — « المزرعة » لوجدنا أن نصيب الشعب من هذا الدخل لا يبلغ أكثر من ٥ ٪ فلا مستشفيات ولا وزارات ولا موظفون ولا مدارس ولا بوليس ولا محاكم حتى ولا مشاريع عمرانية . وكل ما هنالك من مرافق ينفقها من هذا الدخل هو المدرسة السورية والطبيب الدجال والوالى والقاضى وجيشه الصغير مع قائده البريطانى الذى يحمى مصالحه ومصالح الشركات الأمريكية أكثر مما يحمى مصالح الأهالي وأموالهم .

فلو قدرنا النفقات كلها على هذه المرافق ثم بالغنا فى التقدير لما بلغت الألفى جنيه فى العام . والباقي ، أين يذهب ؟

عبيد « سيدنا » وأذنا به يقولون أنه حر فى هذا المسال يتصرف فيه كما يريد وهو ملك له لا شأن لأحد فيه . ولكن إذا قال العبيد هذا ورددوه فى مجالسهم وخذعوا أنفسهم وضمائرهم فإن الأحرار من أبناء هذه الأرض وتلك يقولون ويعتقدون بأن دخل الأرض ليس ملكاً

لشخص واحد ينفقه ويخزنه على أهوائه . وإنما هذا الدخل لأبناء الأرض ينفقه كل من يقودهم ويسوس أمورهم لمصالحهم ومراقبتهم العامة .

حتى زعيم عصابة اللصوص يقسم الغنيمة والدخل بين إخوانه ويشركهم فيها كما شاركوه في العمل والمخاطر ، إنه زعيمهم يأتمرون بأمره وينقادون له ولكنهم واحد منهم ، له مالهم وعليه ما عليهم .

حب المال مثل حب السيطرة عند « سيدنا » وهو ليس شحيحاً على نفسه بل شحيحاً على أبناء أرضه أكثر مما على نفسه . وهذه إحدى اللذات والمتع فكما كثر المال كلما عظمت اللذة وقويت السلطة

* * *

أما أرض « سيدنا » الشمالية — مسقط — فكبيرة وأكثر سكاناً من القسم الجنوبي وهناك أقلية متقنة تنحصر في عاصمة أرض « سيدنا » — مسقط — كما يوجد عدد كبير من المتنورين في ساحل هذه الأرض وفي العالم الخارجي ممن يكونون جهة متحدة مع الشعب الهامى ضد المستعمر وربيبه المستبد .

هذه الأرض لها تاريخ مجيد في الماضي . فقد كانت أعظم دولة بحرية في القرون الأخيرة عرفها تاريخ العرب ولم تكتف بأن حاربت المستعمر البرتغالى في أرضها بل طاردته إلى مستعمراته في الهند وشرق إفريقيا . ثم كان لها النفوذ والسلطة في ساحل إفريقيا الشرقية . وأصبح لها الصيت هنا وهناك كما أصبح لها الخطر على المستعمر الذى بات ينتظر

الفرص ليفرق ويسود ويستعمر فكان له ما أراد في الأيام الأخيرة .
انقسمت هذه الدولة في أيام ضعفها على نفسها إلى قسمين . فبسبب
هذا الانقسام فصلت هذه الأرض عن مستعمراتها في إفريقيا الشرقية
وتكوّن دولة مستقلة يرأسها أحد أفراد الأسرة المالكة نفسها —
وعلى مر الأيام تقلصت هذه الدولة العربية الإفريقية وضعف نفوذ
حكامها حتى أصبحت الآن جزيرة صغيرة — زنجبار — في ساحل
إفريقيا الشرقية تابعة للتاج البريطانى وأصبح سلطانها خليفة بن حارب
يتلقى الأوامر من الحاكم البريطانى كما يتلقى أى موظف أوامره
من رئيسه .

السلطان الحالى فى هذه الجزيرة الإفريقية خليفة بن حارب هو من
نفس عائلة « سيدنا » وهو هرم قد جاوز الثمانين وسياسته لأفراد
عائلته ومواطنيه سياسة عطف وتعارف لا سياسة استبداد وبطش .
ولسكن هذا السلطان مسلوب القوة فهو صورة تمحركه أصابع الحاكم
البريطانى فليس فى يده مقاليد الأمور ودفة الحكم وليس من حقه أن
يقول « لا » بل جوابه لرئيسه دائماً « نعم » .

تشبث المستعمر بهذه المهزلة من الحكومة لخداع الشعب وتخديره
بأنه يعيش فى ظل حكومة عربية يرأسها سلطان عربى . وأغلبية شعب
الجزيرة من الإفريقيين والمولدين أى الذين هم من خليط عربى إفريقى .
أما العرب فهم الأقلية فى الجزيرة وهم أحفاد الذين نزحوا من أرض

« سيدنا » الشمالية في القرون الأخيرة والقرن الحالى .

هذه الجزيرة غنية بمحصول واحد هو القرنفل الذى تصدره بكميات كبيرة إلى أسواق العالم . وتثبت المستعمر بالحكم والسلطة فى هذه الجزيرة يعود إلى تمسكه بالاحتفاظ بزمام محاصيل القرنفل ليحافظ على مستوى تجارته واقتصاديات بلاده .

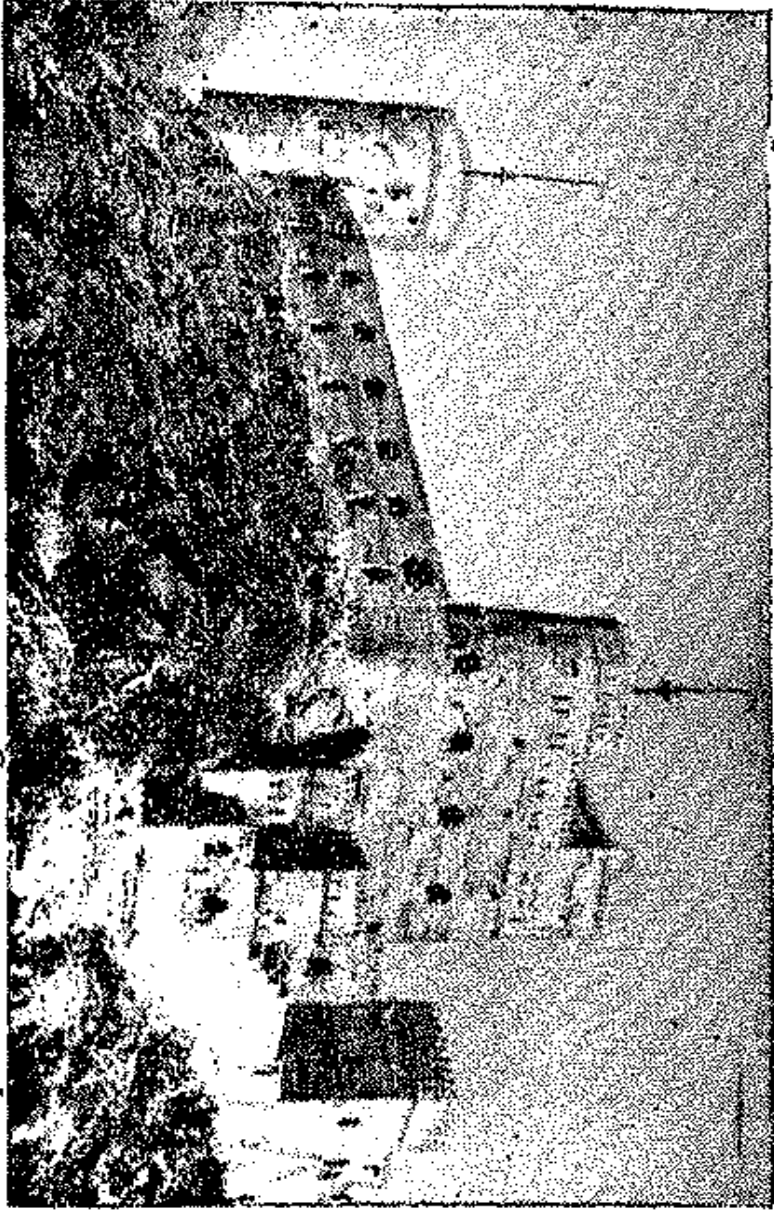
و بالرغم من فقر هذه الجزيرة تحت وطأة برائن المستعمر إلا أن أفراد عائلة السلطان يتمتعون بحقوق وامتيازات يعبطهم عليها أفراد عائلة « سيدنا » فى الأرض الشمالية . فأفراد عائلة سلطان الجزيرة هذه يستطيعون أن يواجهوا سلطانهم فى أى وقت ويتحدثوا معه حديثاً ودياً يشعرون فى جوه أنه حديث عائلى لا حديث سيد ومسود . أما أفراد عائلة « سيدنا » فى مسقط فلا يستطيعون أن يلتقوا به إلا بطلب كتابى سابق إن شاء أجله أو ألغاه . وهذه المقابلة إن تمت فستكون قصيرة ينصت فيها إلى الطلب أو الغرض من الزيارة ثم يجيب سائله كما أمر يصدره إلى عبده أو موظفيه بكلمات مختصرة ويختم المقابلة معه حالا . وهذا الطلب أو الغرض من الزيارة يقتصر عادة على المعونة المادية لا غير . « وسيدنا » فى مقابلاته مع أفراد عائلته جاف فى حديثه عابس فى نظراته لا يتسم معهم ولاهم يتجرأون على الابتسام فى حضرته . وهذا إحدى العلل النفسية التى يقاسى منها أفراد عائلة « سيدنا » .

والامتياز الآخر الذى يتمتع به أفراد عائلة سلطان الجزيرة الإفريقية

— زنجبار — هو حرية التنقل والعمل فالسفر مسموح لكل من شاء منهم إلى أى جهة من الأرض والعمل مفتوح أمامهم فى الجزيرة وخارجها كأى موطن آخر. أما عائلة « سيدنا » فهذا الامتياز ، الذى حرمت منه تلك العائلة ، هو العامل الرئيسى فيما فرضه « سيدنا » عليهم لإرغامهم على حياة الفقر والذلة والهوان . فحرمانهم من السفر والتنقل خارج البلاد وأحياناً داخلها لبعضهم — معناه أولاً الحبس كما يدل عليه واقع حياتهم . فالحبس ليس معناه أن يكون الشخص مسجوناً فى قلعة أو سجن من السجون بل الحبس هو حصر بقعة معينة لا يتعدى حدودها ذلك الشخص أو ذلك العدد من الناس وهذا هو الحبس الذى فرضه « سيدنا » على أفراد عائلته .

حكم عليهم أن يسكنوا جميعهم فى عاصمة ملكه — مسقط — تحت مراقبته ومراقبة أعوانه وأذنا به . وسلط عليهم عيونهم وجواسيسهم ليراقبوا حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم العادية منها والتافه أيضاً ليبلغوها لبتفاصيلها سواء أكان هو بينهم فى العاصمة أو فى — ظفار — وهو بعد ذلك يحاكمهم على أعمالهم وأقوالهم وربما يعنفهم أحياناً ويأبى إلا أن يتدخل فى جميع شؤونهم الشخصية والعائلية ليشرعهم بأنه راعيهم وما هم فى الحقيقة إلا متطفل على حياتهم ، هم فرض نفوذهم وتكسيروا أجنحة كل من يحاول الفرار من سجنه .

قلت أنه فرض عليهم الإقامة الدائمة فى العاصمة — مسقط —



سجن الاحرار في مسقط ، ومسقط كلية سجن كيم

وفرض عليهم بجانب هذا أوامر بعدم مغادرتها إلى الساحل أو الداخل
— أرضه — إلا بإذن منه أو من أحد أعوانه في حالة تغييبه وهم على
الأغلب لا يغادرون العاصمة إلا لمسافات قصيرة منها ولأيام قليلة جداً
إما لتغيير الهواء أو للمصيف . وهذا أشبه بحالة كل سجين من سجون
العالم عند ما تعطل صحته فيطلب العلاج أو تنفس الهواء خارج السجن ،
بل إن بعض سجون أمريكا وأوروبا تقدم للمسجونين جميع وسائل
الراحة من كتب وصحف وراديو وألعاب بجانب الحرفة أو العمل الذي
يتعلمه ويتدرب عليه المسجون أثناء إقامته في السجن ليخرج بعد انتهاء
حبسه وهو مواطن صالح متعلم .

فسجون أمريكا وأوروبا تقدم أسباب الراحة والتعليم للمجرمين
والأبرياء على السواء الذين يدخلون سجونها لينتظروا العدالة من القضاء
أو العقوبة منه . ولكن سيدنا ماذا قدم لأفراد عائلته ؟ إنه لا يكتفي
بحبس أفراد عائلته بين جدران عاصمته بل حطم معنوياتهم وكسر أجنحتهم
وجعلهم يعتمدون في نفوسهم الصغير منهم والكبير عدم النفع للمجتمع
والوطن . وأكبر عامل يثنون من وطأته وينحنون خاضعين لأمره
هو الفقر . والفقر هو الذل في هذه الحياة وهو السيف الذي سلطه
«سيدنا» على رقاب عائلته يهددهم به في كل حين ، والنظام الذي فرضه
عليهم لإبقائهم تحت وطأته يثنون منه دائماً وأبداً هو حرمانهم من التوظيف
إلا بأمره سواء في حكومته أو في الشركات والمجالات الأخرى . وبهذا

الحرمان أصبح رزقهم في يده يتصرف في مصيرهم كما يشاء . فلا الكفاءات ولا الذكاء ولا الجِد في العمل يخول الترقية وزيادة المرتب بل الطاعة والقناعة والصمت هو ما يطلبه « سيدنا » وموظفو حكومته منهم .
وعهما نبه الواحد منهم وتفوق ذكاؤه وبرزت شخصيته في المجتمع فإنه لا ينال التقدير والاستحسان من « سيدنا » بل على العكس يتخذ له شتى الطرق التي تقف سداً في حياته ليقترب ذكائه ويقضي على مستقبله .
والفارق الوحيد بين عائلة السلطان في الجزيرة وعائلة « سيدنا » في مسقط هو أن الأولى ليس لأفرادها معاشات شهرية ثابتة في حين أن عائلة « سيدنا » لها معاشات صورية ثابتة . وهذه المعاشات للكبار منهم وبعض الشباب ، أما الجيل الحاضر الذي ولد في أيام « سيدنا » فإنه لا يحصل على هذا الامتياز .

وإذا جئنا إلى هذا المعاش نرى أن ضرره أكبر من نفعه على هؤلاء الذين يعيشون منه ويربطون حياتهم عليه . فالمعاش هذا عبودية ومذلة لنفوسهم لأنه مبلغ تناه خصصه لهم لا يكفي لسداد الرمق فضلاً عن عيشة الكفاف . وهو يعتبره منة وفضلاً عليهم في حين أنه حق من حقوقهم التي ورثوها كما ورث هو عرشه ومخلفاته .

وهو بهذا المعاش التناهي يربطهم وأوههم وسد في وجوههم أبواب الرزق الأخرى . ومهما اقتصدوا وقتروا في معيشتهم بهذا المعاش التناهي فإنهم لا يستطيعون إلا الاتجاء إلى الدين كي يعيشوا عيشة بسيطة يسدون رمقهم ويسترون عورتهم .

وواقع حياة بعض هؤلاء الأفراد من عائلة « سيدنا » يصور لنا
«البؤس بأجلى معانيه والظلم والعذاب المر . فمنهم من ينحط مستوى
معيشته إلى درجة الفقر ولا ينقصهم إلا التسول في الطرقات مثل عامة
الناس . وهم لا يكفون عن التوسل والإلحاح في التوسل إلى « سيدنا »
لتجديتهم وسد رمقهم . وسيدنا يعلم حالهم ويعرف كيف يعيشون
ويقاسون ولكنه يريدهم أن يتألموا ويتعذبوا ويتخبطوا لأنه كلما افتقروا
وجاعوا كلما خضعوا له وأطاعوه . وهذه عين سياسة « جوع كلبك
يتبعك » .

وهم إذا سألوه معونة لتحسين مستواهم فإنه لا يمنحهم من المال
ما يحسن مستواهم وينتشلهم من الفقر والعوز بل يمنح السائل مبلغاً
يساوى معاشه الشهري فقط كي يكون دائماً وأبداً في حاجة إلى السؤال
والتوسل له . وبما أن المال عصب الحياة فإن « سيدنا » ملكهم بهذا
وحطم كل معنوية في نفوسهم وأرغمهم على قبول الوضع وحصر
تفكيرهم في أمور بطونهم فقط .

هذه هي الحياة البائسة التي فرضها « سيدنا » على أفراد عائلته
في عاصمة ملكه — مسقط — وهذا هو نوع المعاملة التي يقابل بها
أقاربه من إخوان وأعمام وأبناء عم وعمات وغيرهم . ومقابل سلبهم جميع
حقوقهم المادية منهم أبقى لهم المظاهر والقشور الزائفة من امتيازات الشرف
الرفيعة تحفظ لهم اللقب الخاص الذي يطلق على اسم كل منهم وهو

« السيد » وحفظ لهم امتياز الكراسى التي تتصدر المجالس ليشعرهم أنهم سادة القوم وأنهم حكام الشعب كما حفظ لهم امتياز التحية العسكرية التي تؤدي لكل منهم إذا مر في شوارع المدينة أو مراكز البوليس والجيش . وسياسة « سيدنا » التي يطبقها على أفراد عائلته تشبه تماماً سياسة الاستعمار البريطاني للصين القديمة فقد اهتدى هذا المستعمر في تلك الأيام إلى طريقة لاستغلال الشعب الصيني وسلبه حقوقه فخره بالأفيون وسم عقله وحطم معنويته ليمنعه من المقاومة والنهوض . وقد بقي الشعب الصيني كما عرفنا أعواماً طويلة نائماً يحلم من أثر تخديره بالأفيون بينما العالم يتحرك ويتقدم ، إلى أن ظهرت جماعة « اليكسرز » الذين قاوموا هذه التجارة الاستعمارية وحرروا بلادهم من هذا السم الذي يسرى في دماؤها . و « سيدنا » سلب حقوق أفراد عائلته ومنحهم مقابلها تلك الامتيازات والقشور الزائفة فأصبحت تأثيرات مظاهر الشرف الاسمية التي منحهم إياها أشد تخديراً من الأفيون . وأصبح الواحد منهم يفضل أن يقاسى الفقر والجهل والمرض من أن يسلب من اللقب أو يحرم من الشرف . ولكن هناك أملاً كبيراً في أن يظهر قريباً جماعة اليكسرز الذين سيفيقون وينتبهون فيتسكتلون أمام عدوهم الأول — بريطانيا — وريبتها « السلطان » .

ان أفراد عائلة « سيدنا » وشعبه يمرون بمرحلة تاريخية تشبه نوعاً ما مرحلة فرنسا قبل الثورة . فالشعب الفرنسي قبل الثورة كان مظلوماً

ومحروماً بل ومسلوب الإرادة والحرية فكان هناك ظلم ولكن الظلم وحده لا يكفي لإشعال الثورة بل الشعور بالظلم . وأخيراً هب هذا الشعور على صفحات كتب فولتير وروسو فتولدت الطاقة الكامنة في النفوس واختمرت مدة من الزمان حتى انفجرت وحطمت الباستيل وأطاحت بالعرش وعصفت بالظالمين .

الظلم موجود في أرض « سيدنا » ولكن الشعور بهذا الظلم لم يتولد في النفوس تماماً وإن كانت هناك بوادر تدل على وجوده في بعض النفوس القليلة . فإلى أن يتولد ذلك الشعور سنرى أن أفراد عائلة « سيدنا » سيطالبون بحقوقهم المساوية ولا يرضون بديلاً عنها بتلك الألقاب الزائفة والمظاهر الخداعة . وعند ما يتعرع هذا الشعور في نفوس شعب « سيدنا » سنراه يتنفس ويطالب ويحتج بل ويدافع عن حريته وحقوقه .

هكذا قضى « سيدنا » على أفراد عائلته فسجنهم في عاصمة ملكه — مسقط — ودقنهم عن العالم أحياء . وحياتهم الآن أشبه بالموتى في القبور ، وما ذلك السجن الذي سجنهم فيه إلا قبرهم ومهدم ، فيه يولدون وعلى أرضه ينشأون ويتعذبون وأخيراً في باطنه يدفنون .

وكلاء الاستعمار
في مسقط والخليج العربي

وكلاء الاستعمار في مسقط

القنصل العام :

يطلق على كل حاكم بريطاني في إمارات الخليج العربي لقب « الوكيل السياسي » وكان الحاكم البريطاني في مسقط في الماضي يحمل لقب « الوكيل السياسي » . ولسكن بعد المعاهدة الأخيرة في سنة ١٩٥٠ أدخل بعض التغيير في الاسم فأصبح الحاكم البريطاني ويمثل الحكومة البريطانية في مسقط يحمل اللقب الرسمي « القنصل العام لصاحبة الجلالة البريطانية » .

والقنصل العام هذا يتمتع بمصانعه دبلوماسية وبامتيازات أخرى . وهو يتلقى جميع أوامره من البحرين المركز الرئيسي لمنطقة الخليج حيث يوجد مقر القنصل العام البريطاني أورئيس الخليج .

والقنصل العام الحالي في مسقط هو ميجر ف سي . ل شونسي . وهو أحد رجال الاستعمار الذين كان لهم صفحات سوداء في تاريخ الهند أيام الاحتلال . وقد كان عمله في الهند تلك الأيام مستشاراً لأحد المهرجات من الهنود ، وكان يقوم بدور الوصي على ذلك المهرجا الطفل والمرشده . وظل في الهند بعد ذلك يتقلب في مثل تلك المناصب مدة ربع قرن من الزمان أحيل بعدها إلى التقاعد بعد أن أدى خدماتها الوطنية لإمبراطوريتته على حساب الشعوب المستعمرة .

وفي سنة ١٩٤٩ عند ما اقتشفت وزارة الخارجية البريطانية في ملفاتها عن رجل يقوم بمهمة الوكيل السياسي لها في مسقط لم تجد إلا ذلك المتقاعد الذي أحيل إلى المعاش . فانتزعت من قرينته وأمرته أن يتوجه إلى مسقط لحاجة ذلك المركز إلى شخص في مثل خبرته وتجاربه . فاجاء الرجل الذي يحمل تجارب المستعمر في ربع قرن ليطبق تلك التجارب في مسقط . وقد نجح في مهمته واستطاع أن يفرض شخصه ويقوى نفوذ حكومته وأصبح على مر الأعوام يمثل مركز الوصي والمرشد لأحد المهزاجات .

ومن آثار نجاح سياسة هذا القنصل العام أو بالأحرى وكيل الاستعمار أنه لم يكتف بأن احتل مركز الوصي أو المرشد والمستشار الغير رسمي لسلطان مسقط بل استطاع أن يرغم سلطان مسقط على تجديد خدماته مرتين منذ عام ١٩٤٩ .

وأصبح هذا الرجل الذي هو القنصل العام يحكم سلطنة مسقط من خلف الستار ويحرك جيوش السلطان تماماً كما كان يفعل هو وأمثاله من المستشارين الاستعماريين في الهند أيام الاحتلال . وقد لعب هذا الرجل منذ سنة ١٩٤٩ دوراً كبيراً في توطيد النفوذ البريطاني بسلطنة مسقط وكنت طوال إقامتي هناك على اتصالات شخصية معه بحكم عملي في حكومة مسقط . وكنت في كل فرصة وحادث أدرس عن كثر أعمال هذا الشخص ونشاطه سواء في أحاديثه

وكلاء الاستعمار في مسقط

القنصل العام :

يطلق على كل حاكم بريطاني في إمارات الخليج العربي لقب « الوكيل السياسي » وكان الحاكم البريطاني في مسقط في الماضي يحمل لقب « الوكيل السياسي » . ولكن بعد المعاهدة الأخيرة في سنة ١٩٥٠ أدخل بعض التغيير في الاسم فأصبح الحاكم البريطاني وممثل الحكومة البريطانية في مسقط يحمل اللقب الرسمي « القنصل العام لصاحبة الجلالة البريطانية » .

والقنصل العام هذا يتمتع بحصانه دبلوماسية وبامتيازات أخرى . وهو يتلقى جميع أوامره من البحرين المركز الرئيسي لمنطقة الخليج حيث يوجد مقر للمقيم العام البريطاني أو رئيس الخليج .

والقنصل العام الحالي في مسقط هو ميجر ف سي . ل شونسي . وهو أحد رجال الاستعمار الذين كان لهم صفحات سوداء في تاريخ الهند أيام الاحتلال . وقد كان عمله في الهند تلك الأيام مستشاراً لأحد المهرجات من الهنود ، وكان يقوم بدور الوصي على ذلك المهرجا الطفل والمرشده . وظل في الهند بعد ذلك يتقلب في مثل تلك المناصب مدة ربع قرن من الزمان أسحبل بعدها إلى التقاعد بعد أن أدى خدماته الوطنية لإمبراطوريته على حساب الشعوب المستعمرة .

وطنه انكلترا في طريقه إلى مسقط جواً . وبعد التحقيق من الورقة التي سقطت من جوازه منع الوزير اليهودي من النزول في أرض دمشق فأبقى في الطائرة محبوزاً عدة ساعات حتى أخذته طائرة أخرى إلى البحرين وكان هذا الحادث في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

ومستراً نيس هذا اليهودي البريطاني الذي يتقلد وزارة خارجية سلطنة مسقط منذ سنة ١٩٥٣ حتى الآن . كان قبلها يشغل منصباً عادياً بسيطاً في السودان أيام كان لبريطانيا النفوذ هناك . ولكن بعدما نال السودان استقلاله واستغنى عن ألوف الموظفين البريطانيين ، لم تجد حكومته بريطانيا مفرأ من توزيعهم على مناطق نفوذها ومستعمراتها الباقية للاستفادة من تجاربهم القديمة ومكافأتهم على خدماتهم الاستعمارية وكان ، لا على سبيل المصادفة ، بل بعد الترشيح والتعيين ، أن صار مستر نيل أنيس من نصيب سلطنة مسقط . وهذا الرجل بالذات الذي كان يشغل منصباً عادياً بإحدى مصالح السجون في السودان لمدة ستة وعشرين عاماً أصبح فجأة يقفز إلى كرمي وزارة الخارجية . فلا عجب أن شعر بعض من يعرفه من أبناء مسقط ، أنه يتخيل نفسه ما كميلان وينطق باسم السلطان .

ووزير الخارجية هذا هو أحد الدعائم الثلاثة الذين يحكمون مسقط من خلف الستار . والأول هو الوكيل السياسي والثالث هو القائد العام للقوات المسلحة هناك .

رئيس أركان قوات مسقط المسلحة :

هذا المركز الهام يشغله في الوقت الحاضر أحد وكلاء الاستثمار ممن اكتسبوا تجارب الحرب والمعارك في أدغال برما وغابات الهند وصحراء ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية .

ورئيس أركان قوات مسقط المسلحة هذا له مطلق السلطة في القوات ويتلقى أوامره من القيادة العامة في البحرين لمنطقة الخليج حيث يرأسها هناك البريجادير بيرد المستشار العسكري للمقيم العام البريطاني والقائد العام للقوات البريطانية في الخليج .

وفي الوقت الحاضر يشغل منصب رئيس أركان قوات مسقط المسلحة الكولونيل واتفيلد الذي عين في أوائل سنة ١٩٥٤ . وبجانب هذا المركز الهام يقوم هذا الرجل بمهام وزارة خارجية سلطنة مسقط في أثناء غياب زميله نيل أنيس فيجمع بين القيادة العسكرية والمهام السياسية .

وهذا القائد هو الذي يختار ضباطه بالاشتراك مع زميليه الوكيل السياسي ووزير الخارجية . وجميع هؤلاء الضباط الذين يشتغلون في جيشه بريطانيون وباكستانيون وليس من بينهم عربي واحد لا من مسقط ولا من البلاد العربية . وقد أتاحت لي بعض المناسبات التحدث معه في هذا الشأن فسألته عن أسباب عدم تعيين ضباط من أبناء البلاد في الجيش فأجاب بأنه يوافق ولكن السلطان لا يوافق في الوقت

الحاضر . و بعد حديث طويل وجهت إليه سؤالا آخر وقلت له ولماذا لا تعينون ضباطا عراقيين أو أردنيين بدلا من البريطانيين الذين يتقاضون مرتبات باهظة تكلف الدولة . فأجاب بأن الضباط العرب ربما لا يتعاونون معي وربما يجلب بعضهم أفكاراً جديدة من الخارج لأفراد الجيش تسبب متاعب لنا .

بهذا النمط من السياسة وأمثال هؤلاء تدعم بريطانيا الآن نفوذها في مسقط .

ممثل الشركة الاستعمارية :

بجانب ذلك الثالث الاستعماري يوجد في مسقط وكيل آخر يمثل شركة البترول وهذا الوكيل له نفوذ واسع وصلاحيات كبيرة وهو الذي يقوم بدور المندوب بين الشركة والسلطان واختصاصاته كلها سياسية ولا دخل له بأعمال الشركة الفنية وغيرها .

وهذا الرجل يتلقى أوامره مباشرة من أرباب المال الاستعماريين في لندن كما أنه يتلقى بعض الأوامر من المقيم السياسي في البحرين .

ويشغل هذا المنصب في مسقط في الوقت الحالى سيروليم لندزى الحكمدار السابق لبوايس السودان .

وهذا أحد الخلفات الذين استغنت عنهم حكومة السودان فكانوا من نصيب مسقط .

شركة شارلز كندل :

بعد الحرب العالمية الثانية وبعد أن نالت الهند استقلالها استغنت حكومة الهند عن آلاف الموظفين والضباط البريطانيين واستبدلت بهم وطنيين . وكان من جملة الضباط الذين استغنت عنهم حكومة الهند رجل يسمى كابتن شارلز كندل الذي استعان ببعض معارفه وأصدقائه على تكوين شركة صغيرة تعتمد كل تجارتها على مشتريات حكومات الخليج العربي .

تأسست هذه الشركة الاستعمارية في لندن باسم شارلز كندل وكانت تضم عددا من المساهمين البريطانيين ممن كانت تربطه بهم علاقة أو صداقة قديمة بالهند . وأحد هؤلاء الجنرال أوكنلث .

وصادف أن عين بعد الحرب الثانية في البحرين سير روبرت هيه مقيا سياسيا وكان هذا الرجل يشغل مناصب كبيرة لعشرات السنين في الهند . وقد ربطت بينه وبين كابتن كندل أواصر الصداقة والمعرفة هناك . فلما أن نقل إلى البحرين وأصبحت له السطوة والنفوذ في منطقة الخليج تنبه كندل إلى وجوده واستعان به في الحصول على امتيازات وصفقات رابحة من حكام منطقة الخليج . فكانت النتيجة أن أبرمت اتفاقيات بين حكومات الخليج العربي وعلى رأسها حكومة مسقط وبين شركة شارلز كندل ، ومن أهم بنود الاتفاقية :

١ — أن تتقاضى الشركة ربحاً قدره ٥ ٪ من المشتريات (وهذا الربح اسمي) .

٢ — جميع مشتريات الحكومة ولوازمها من بريطانيا يجب أن تكون بواسطة هذه الشركة .

٣ — أن تدفع كل حكومة قيمة المشتريات والطلبات مقدما .
وقد أبرمت هذه الاتفاقية بين حكومة مسقط وشركة شارلز كندل سنة ١٩٥٠ وكانت المشتريات الأولى التي دشنت بها هذه الاتفاقية بين الطرفين هي أثاث منزل وزير خارجية مسقط السابق مستر وودز بلارد وكانت قيمة هذا الأثاث حوالي عشرة آلاف جنيه استرليني دفعها سلطان مسقط للترفية عن وزيره البريطاني . وكان هذا المبلغ يكفي لبناء مدرستين ابتدائيتين ومدرسة ثانوية للبلاد .

وبحكم عملي في وزارة الخارجية كنت اتبع باهتمام ملفات هذه الشركة الاستعمارية وأحسب في جدول خاص الابتزازات والأرباح التي كانت تجنيها كل عام .

وفي إحدى المرات اكتشف أحد الموظفين بالوزارة تفاوتاً في الحساب يبلغ حوالي عشرة آلاف جنيه من مشتريات أسلحة للجيش . فلفت نظري إليه وتعاوننا معاً للتدقيق فوجدنا أن التفاوت لم يكن عن خطأ حسابي وخصوصاً أن المبلغ كان مدفوعاً سلفاً ولهذا عرضنا الأمر على الوزير . فقام بدوره بالتدقيق بعد أن اصطبغ وجهه بالحمرة الشديدة . وبعد أيام جاءنا ليقول راجعوا الشركة فر بما لديها ما يبرر هذه الغلظة .

وعندما كتبنا للشركة نستفهم منها عن المبلغ أجابت جواباً طويلاً
تعتذر فيه عما وقع وتعتزف بالمبلغ المذكور .

وهكذا يتعامل وزير سلطان مسقط مع أبناء جلدته لا بتزاز أموال
الشعب الذى دفعه ضرائب من عرق جبينه
وهكذا يستخدم سلطان مسقط وزراء ينفق على راحتهم ورفاهيتهم
عشرات الألوف من الجنيهات كل عام .

وبحكم عملى بهذه الوزارة — أيام كنت مسقط قابلت هذا العميل
الاستعماري كبتن كندل مؤسس الشركة ورئيسها . وكان قد جاء مرة
إلى مسقط قبل سنتين يمتج لدى الحكومة على تقضها للاتفاقية فى أحد
بنودها . وكان احتجاجه حول مشتريات وطلبات بلدية مسقط التى
لا تتعامل معه . وقد قيل له آنذاك أن البلدية ومجلسها مستقلان عن
الحكومة وأن لهما الخيار فى أن يشتريا من أى مصدر يشاءان .
وقد سمعته مرة يتحدث مع أحد المسئولين بأن أرقام المشتريات فى
سنة ١٩٥٥ قد بلغت أربعة أضعاف سنة ١٩٥٤ . ثم قال ونحن نأمل
أن تبلغ طلبات سنة ١٩٥٦ عشرة أضعاف السنة الحالية لوجود شركة
البتروى .



وهكذا يبنى هذا الأجل من ومعاونوه من حكومة مسقط وحدها
مئات الألوف من الجنيهات سنوياً ، عدا الاختلاسات والأرباح الإضافية
وإذا علمنا بأنه لا يوجد مرافق أو محاسب خاص لمراجعة كشوف

حسابات هذه الشركة أمكننا أن نتصور الأرقام الخيالية التي تمتلئ بها جيوب هؤلاء المستعمرين .

وكالة الاستعمار في الخليج

المقيم السياسي :

وسير برنارد باروز هو المقيم السياسي في الخليج العربي الحاكم بأمره وهو زوج ابنة أحد أصحاب جريدة التيمس اللندنية وكان يشغل بعض المناصب الغير رئيسية في سفارة بريطانيا بواشنطن وفي سفارتها بالقاهرة ثم نقل بعد ذلك إلى الخليج خلفاً لسير روبرت هين .
وتحت تصرف هذا الرجل قطع من الأسطول البريطاني المرابط بصورة دائمة في البحرين والمتجول في الخليج . كما أن سلاح الطيران الملكي البريطاني تحت تصرفه أيضاً . ووحدات من الجيوش المرتزقة تحت تصرفه أيضاً .

ودار المقيم السياسي واقعة في منطقة الجفير من المنامة بالبحرين وهذه الدار تطل على البحر حيث تربض قطع الأسطول البريطاني كما أن الدار محاطة ببيوت الموظفين البريطانيين ورجال الشركة والأعمال .
والمقيم السياسي ملحقون عسكريون وبحريون وجويون وتجاريون وثقافيون وماليون وأهم هؤلاء رئيس ضباط البحرية البريطانية في الخليج

الذي يشرف على قطع الأسطول وتنظيم زياراتها الودية أو هجومها العدواني . ويأتي بعده القائد العام للقوات البرية البريطانية في الخليج وهو الآن البريجادير بيرد . واختصاص هذا القائد الإشراف الكامل على القوات البرية لبلدان الخليج العربي سواء كانت القوات البريطانية أو القوات المرتزقة .

ثم يأتي الطيران . ويشرف عليه في الوقت الحالي جروب كبتن كوت وهذا الرجل هو المسئول عن قوات سلاح الطيران الملكي البريطاني في الخليج ومنطقته تمتد كما صرح لي من بغداد شمالاً إلى ظفار جنوباً .

وهذه القوات الثلاثة — البحرية والبرية والجوية — جاهزة وعلى أتم استعداد في قاعدة البحرين والشارقة .

كما أنه يوجد ملحقون ثقافيون وتجاريون وماليون بجانب ذلك ، واختصاص كل ملحق من هؤلاء مستقل عن الآخر بإدارته وموظفيه ، وكأما تعمل لخلق الحريات وضرب الحركات الوطنية واستغلال الشعب وإبزاز أمواله .

وهناك في البحرين بجانب هذا المدد الضخم من الملحقين والمعاونين التابعين للمقيم السياسي ، توجد في المنامة دار الاعتماد البريطاني ورئيسها هو المعتمد البريطاني في البحرين . وهو بمثابة وكيل سياسي أو قنصل . وأعمال هذا المعتمد تقتصر على الروتين الإداري والتأشيرات وهو يتبع

المقيم السياسي ويخضع لأوامره . وقد وضع هذا التقسيم ليخفف من الأعباء عن كاهل المقيم . فدار المعتمد البريطاني بمثابة قنصلية لدار الرئاسة بالجفير .

كما أن هناك شخصاً ثالثاً وضع ليكون مستشاراً لحاكم البحرين وهذا الرجل له صلاحيات واسعة ويحكم حكماً مباشراً . وكان المستشار السابق بلجريف قد شغل هذا المنصب مدة ثلاثين عاماً . ولكن عند ما تفاقمت الأمور وتغلبت القوى الوطنية لم يجد الاستعمار بداً من استبداله وتعيين مستشار جديد باسم سكرتير الحاكم .

ولكن القومية العربية قد استيقظت وأهبت الشعور الوطني في كل بقعة من أرض الخليج ، ولا يمكن أن يعيش أبناء هذه المنطقة في الظلام بعد أن رأوا النور .

قصة عمان

و

السلطان الخائن

قصة عمان والسلطان النخائن

في عام ١٩١٤ شنت القوات البريطانية مع قوات مسقط حرباً على عمان . ولما تبين للانكليز أن الدائرة ستدور عليهم وأن أهل عمان الأحرار لا يرضون بالحرية بديلاً طلبت بريطانيا الصلح في ٤ مارس سنة ١٩١٩ وبعثت بمذكرة إلى زعماء عمان تطلب منهم وقف إطلاق النار ، وتعتبر هذه الوثيقة من الناحية الدولية اعترافاً باستقلال عمان . وقد وقعها من قبل الإمام محمد بن عبد الله الخليلي الشيخ عيسى بن صالح الحارثي أمير الشرقية ونائب الإمام . ومن قبل السلطان السيد تيمور ابن فيصل مستر وينكيت باليوزو قنصل الدولة البريطانية بمسقط .

وتضمنت الشروط الآتية بعبارتها : —

الأول — أن كل وارد من عمان من جميع الأجناس إلى مسقط ومطرح وصور وسائر بلدان الساحل لا يؤخذ منه زيادة عن المائة خمسة .

الثاني — أن يكون لجميع العمانيين الأمن والحرية في جميع بلدان الساحل .

الثالث — جميع التجهيزات على جميع الداخلين والخارجين من مسقط ومطرح وجميع بلدان الساحل ترفع .

الرابع — أن لا تأوى حكومة السلطان مذنباً يهرب من إنصاف
العمانيين وأن ترجعه إذا طلبوه منها وأن لا تتدخل فى داخلتهم .
وهذه الشروط الأربعة للإمامة اعتراف باستقلالها .

وهناك أربعة شروط للسلطة : —

الأول — كل المشايخ والقبائل يكونون بالأمن والصلح مع
حكومة السلطان وأن لا يهاجموا بلاد الساحل وأن لا يتدخلوا
فى حكومته .

الثانى — كل المسافرين إلى عمان لمشاكلهم الجائزة والأمور
التجارية يكونون أحراراً ولا تكون تقييدات على التجارة ولم الأمن .

الثالث — كل محدث أو مذنب يهرب إليهم يطردونه ولا يأوونه .

الرابع — أن دعاوى التجارة وغيرها على العمانيين تسمع وتفصل
على موجب ما هو الإنصاف بالحكم الشرعى .

وقد حررت هذه الوثيقة بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٠ فى بلدة
السيب من سلطنة مسقط التى تبعد ٣٠ ميلاً عنها . وقد عرفت هذه
المعاهدة بعدئذ بمعاهدة السيب .

وقد اعترف المؤرخون الغربيون باستقلال عمان وسلمت كل المصادر
الرسمية البريطانية بهذه الحقيقة فى وقائعها عن عمان ومسقط . فجاء فى

كتاب المعهد الملكي البريطاني عن الشرق الأوسط في الفصل الخاص
بمسقط وعمان ما يلي :

« والحق أنه عند نهاية القرن التاسع عشر لم يتجاوز نفوذ سلاطين
مسقط المناطق الساحلية وظفار إلى قبائل داخلية عمان . وفي عام ١٩١٣
اجتمعت القبائل وانتخبت لها إماما كان خليفته عام ١٩٢٠ الإمام محمد
ابن عبد الله الخليلي وهو في الواقع صاحب السلطان على القبائل التي تقيم
في منطقة تمتد نحو مائتي ميل إلى الشمال الغربي والجنوب الشرقي من
مقر إمامته نزوى الواقعة إلى الجنوب من الجبل الأخضر . فهذه القبائل
البدوية الداخلية تدين له بالوفاء » .

وقال الكاتبين اكايز الذي كان يقود قوات السلطان ضد الإمام
« إن معاهدة ١٩٢٠ تعد تسليما باستقلال عمان » .

رائحة البترول :

عندما فشلت بريطانيا في محاولاتها العديدة في السيطرة على
عمان اضطرت أمام المقاومة العنيدة للشعب العماني أن تعترف باستقلالها.
وقد عبر عن هذا أيضا من جانب حكومة مسقط مستشارها المالي
البريطاني سير برترام توماس سنة ١٩٢٠ بقوله : —

« لقد نصت التسوية على أن تكون لقبائل عمان حكومة
من بينها » .

ومع هذا ظلت بريطانيا تدبر الأمر وتعد الخطة للسيطرة عليها .
وأخذت تستخدم سلطان مسقط لمهاجمة عمان وظلت تعمل على تقوية
حكيمه وتقدم له المساعدة التي وصفها سير برترام تومس بقوله : « إن
مساعدة بريطانيا جاءت في شكل قرض قدمته حكومة الهند للوفاء
بديون الدولة وتنظيم جيش لها يتولى قيادته ضابط بريطاني وقد نصح
السلطان بأن يستعين بخدمات وزير بريطاني » .

وفي عام ١٩٢٢ أعلن عن وجود البترول في هذه المنطقة فكتب
القنصل البريطاني في مسقط إلى السلطان تيمور بن فيصل يخبره بوجود
البترول في البلاد وبضرورة عدم منح امتياز استغلاله إلا لبريطانيا .
ورد السلطان تيمور على القنصل في يناير سنة ١٩٢٣ بخطاب يؤكد فيه
أنه لن يمنح أحداً الإذن باستغلال البترول إلا بعد استشارة الوكيل
السياسي في مسقط وموافقة حكومة الهند وأنه بعد أن يثبت وجود
البترول في البلاد سيبحث الأمر مع القنصل لاتخاذ التدابير اللازمة وتنظيم
العمل ووضع الشروط . وقال السلطان تيمور أن العمل سيكون بطبيعة
الحال احتكراً .

وفي عام ١٩٢٥ منح السلطان تيمور شركة دارس امتيازاً للبحث
عن البترول والغاز الطبيعي وغيرهما من المنتجات ولكن هذا الامتياز
انتهى في عام ١٩٢٩ .

قصة شركة البترول الاستعمارية :

في عام ١٩٣٧ حصلت شركة « عمان وظفار » لاستثمار البترول التابعة لشركة بترول العراق على امتياز بإنتاج البترول ونقله . وقد وقع المعاهدة السلطان الخالي سعيد بن تيمور في مسقط قبل رحلته إلى أوروبا وأمريكا .

ومنذ أن وقعت هذه الاتفاقية وحصلت الشركة على الامتياز في سنة ١٩٣٧ لم تبدأ الشركة أى عمل في البلاد . وحتى بعد انتهاء الحرب لم يحدث أى شيء . وبقي الامتياز للشركة وبترول البلاد المدفون احتياطي للمستقبل .

ولكن عندما أمم مصدق بترول إيران تنهت بريطانيا إلى وجود البترول المدفون والامتياز الذي في يدها . فالتفتت إلى هذا الشطر من المنطقة وبدأت تدق الأبواب من جديد .

فابتدأت الشركة في أول الأمر بتكوين جيش نظامي يحميها من الشعب . وكان هذا الجيش يتستر باسم « السلطان » ويحمل رايته بالرغم من وجود ضباط بريطانيين فيه وقيادة بريطانية . وباسم هذا الجيش ولأجل مصالح هذه الشركة حدث العدوان الأخير على عمان وأصبحت سلطنة مسقط قاعدة استعمارية بريطانية .

واتكوين هذا الجيش ونشاط الشركة وعدوان المستعمر قصة أحب

أن أضعها أمام القارىء من أولها لاطلاعى الشخصى على دقائقها منذ بدئها حتى مراحلها الأخيرة العدوانية .

فى شهر يوليو من سنة ١٩٥٣ وصل مسقط ضابط بريطانى برتبة ميجر كان يسمى « ماك جيل » يحمل رسالة كتابية من السلطان سعيد ابن تيمور إلى نائبه السيد شهاب بن فيصل يأمره فيها بالتعاون مع الضابط لتكوين معسكر ونواة جيش متنقل للشركة . وكانت هذه الخطوة الأولى لأعمال الشركة . فبدأ الضابط يمارس أعماله وبدأت البواخر تنزل العتاد والذخيرة وبدأ الالتحاق بهذا الجيش الذى خدع به الشعب فاستعاروا له اسم جيش السلطان وفى الحقيقة ، ما هو إلا جيش بريطانى يحمى بريطانيا ومصالح بريطانيا :

وتكون هذا الجيش وتأسس فى مرحلته الأولى ببلدة فليح القبائل من أراضي الباطنة التابعة لسلطنة مسقط . وكان مدرّبوه ضباطاً بريطانيين وكان عدد أفرادهم عند التكوين بضعة مئات .

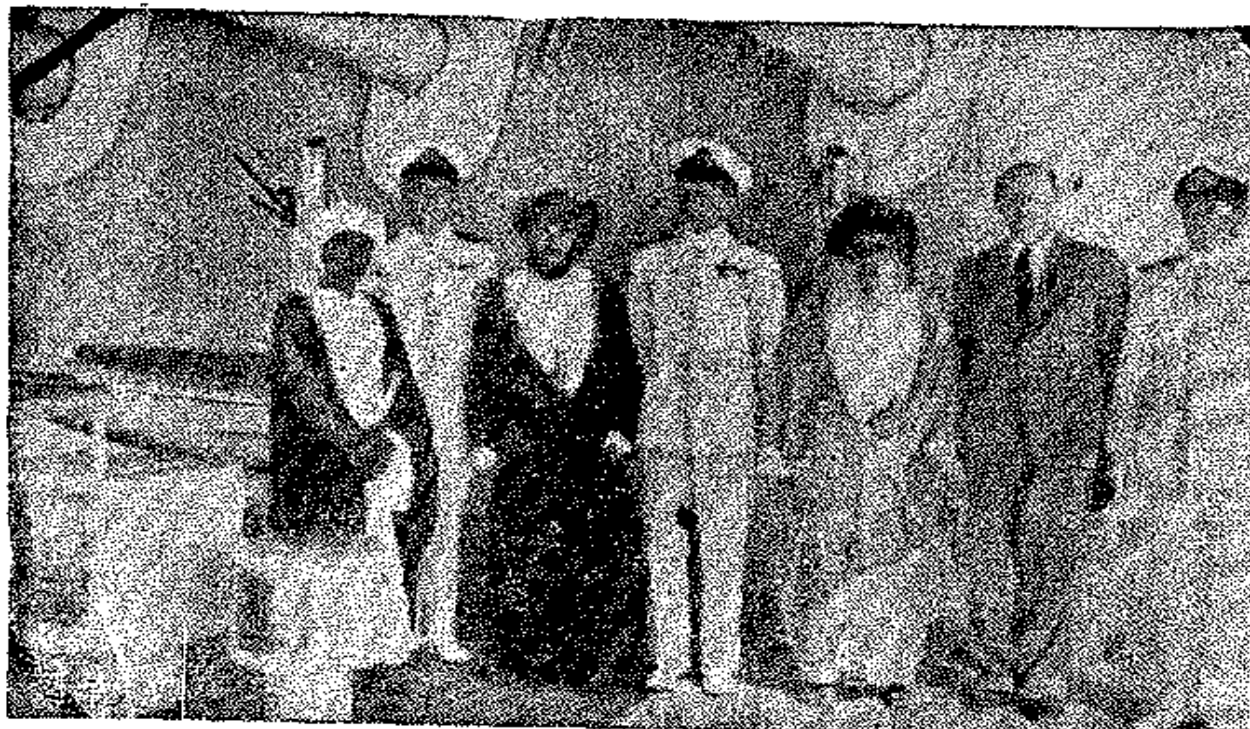
واحتار الشعب فى أمر هذا الجيش ووضعهم . ولم يعرف أحد من ذلك الحين ماذا يبيت المستعمر من أهداف لتحقيق مآربه . وكانت الخطة التى وضعها المستعمر مع أعوانه وصناعه خطة طويلة مرسومة تنفذ على مراحل معينة .

وفى أوائل سنة ١٩٥٤ بدأت المرحلة الأولى لخطة المستعمر تنفذ . فأمّر الجيش بالانتقال بجرّاً إلى ميناء صغير فى الجنوب يسمى رأس دقم .

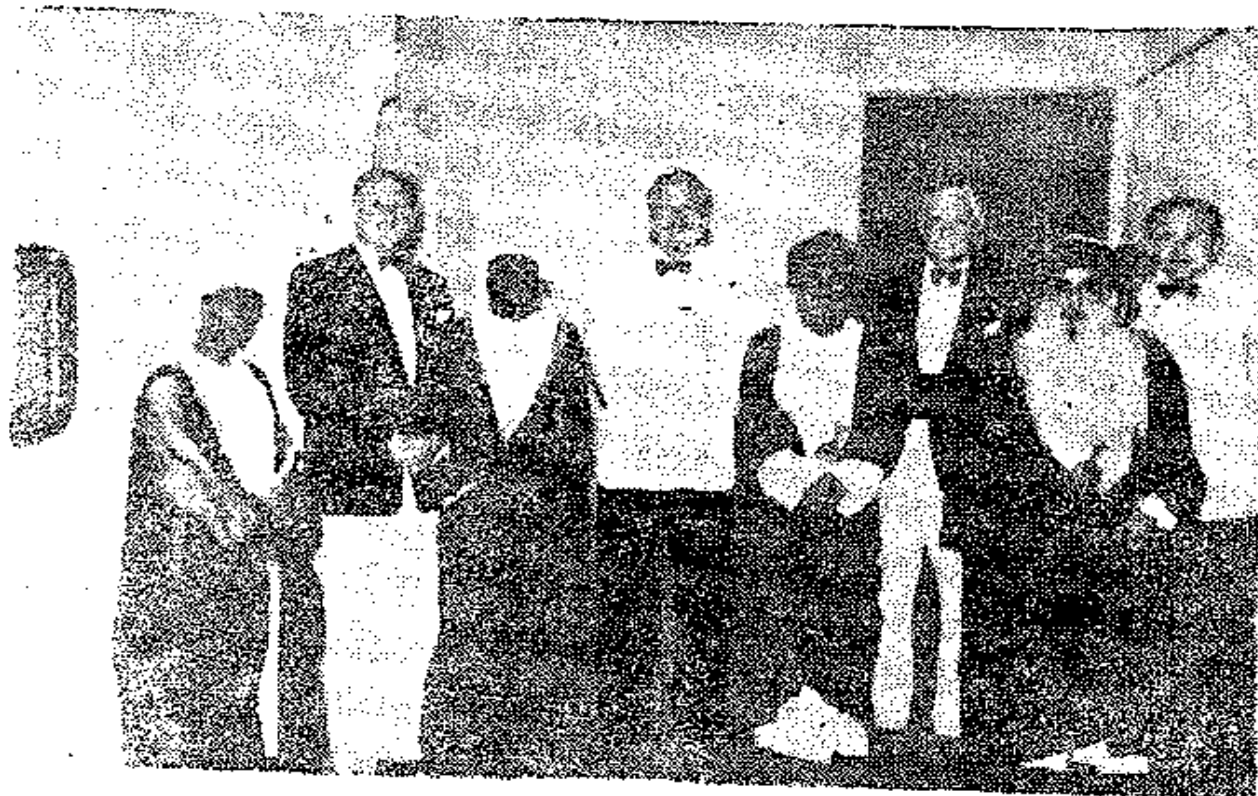
كما نقلت إلى هناك جميع المعدات والأسلحة والذخيرة . ووصلت البواخر البريطانية تحمل الباقي من العتاد لجيشها . وفي هذا الميناء بالذات تم تدريب الجنود وأصبح هذا المقر مركزاً للقيادة العامة . وإلى هنا كان الشعب حائراً في أمر هذا الجيش لا يعرف ما يرمى إليه وما يهدف إليه . وأخيراً بعد التدريب بدأت المرحلة الثانية تنفذ فزحف ثلثا هذا الجيش بسياراته وعتاده وذخيرته إلى عمان واحتل مدينة عبري غصباً واعتداء وكان هذا في أواخر سنة ١٩٥٤ . وعند هذه المرحلة بدأت خيوط المؤامرات تنكشف وبدأت الأطماع الاستعمارية تتضح أمام الشعب . فثارت القبائل واحتج الزعماء ولكن ليس من مجيب . وبات الشعب ناقماً يتحين الفرص ولكن المستعمر وأذنا به لم يلتفتوا إلى نداءات الشعب . فدبروا المؤامرة الكبرى في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٥ وزحفوا إلى العاصمة — نزوى — واحتلوها عنوة وقوة . وعلى أثر هذا أطلقت أبواق الدعايات البريطانية من إذاعات وصحف وغيرها عن إلغاء الإمامة وتوحيد البلاد تحت راية سلطان مسقط . ويرر المستعمر تدخله بالسافر بأنه مساعدة لصديقتهم القديم سلطان مسقط .

وكان هذا العدوان بداية لمرحلة الثورة والفتيل التي أشعلها بعد ذلك في ٧ يوليو سنة ١٩٥٧ بقيادة الإمام غالب بن علي .

وكانت خربة نزلت كالصاعقة على المستعمر وصنيعته فانهزمت جيوشهم في جميع الميادين وكادت أن تفلت الأمور كلها من قبضتهم



وتحت فوهات المدافع اجتمع نائب سلطان مسقط مع وزير خارجيته اليهودى البريطانى



ان فيصل بن على شهد المؤامرات وسمع كل كلمة وجاء الى القاهرة امري
اسرار المؤامرة كاملة ...

لولا أن تجمعت قوات بريطانية أخرى من كل حذب وصوب وأخذت تضرب حتى السكان الآمنين بالقنابل الصاروخية وتشن عليهم هجمات وحشية .

وقد برزت بريطانيا هذا العدوان الفاشم والوحشية البربرية بأن سلطان مسقط هو الذي طلب المعونة العسكرية منها وأنها وافقت على طلبه .

وقد نشرت صحيفة « نيو يورك تايمز » في ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٧ مقالا بعنوان « الحاكم الذي يريد البترول » السلطان سعيد بن تيمور » جاء فيه : —

« في الشرق الأوسط نوعان من الحكام : الأغنياء بالبترول ، وأولئك الذين يودون الاغتناء بالبترول — والسلطان سعيد بن تيمور من الفريق الثاني . والحقيقة أن آماله تقاسمه فيها الحكومة البريطانية وشركات البترول الأمريكية والانجليزية مما جعل حياته مقلدة ومشاكله خطيرة . وهذا أحد الأسباب التي دفعته لأن يطلب هذا الأسبوع من أصدقائه المقربين من رجال سلاح الطيران الملكي المهجوم على حصون إمام عمان الشيخ غالب بن علي . فنذ عامين ورجال شركة بترول العراق البريطانيون يتقبون في عمان ، ولكن إمامها وأتباعه يهددون السلطان فيضطر لأن يلجأ للبريطانيين من وقت لآخر لحصر الإمام في منطقته .

وإذا ما نجح الإمام هذه المرة فإن السلطان قد يفقد البترول وكذلك تفقده شركة بترول العراق التي تتضمن أسهما فرنسية وأمريكية ويتولى الانجليز إدارتها .

وحلم الانجليز يتلخص في الحصول على مصدر أساسي للبترول في ذلك الركن من الجزيرة العربية ذي الموقف الدفاعي المناسب يماثل الحقول الغزيرة في الكويت والبحرين على رأس الخليج . والسلطان يعي كل هذا فثقافته غربية وهو يقرأ صحيفة التيمز اللندنية ومشارك في الصحف الأمريكية . وهو يعلم أنه إذا فقد هو والبريطانيون عمان فإنهم قد يفقدون واحة البريمي ، وإذا فقدوا واحة البريمي فإن المشيخات الساحلية التي تسيطر عليها بريطانيا والتي تجاور السلطان من الشمال قد تضيق أيضاً . وستكون السيطرة البريطانية على البحرين والكويت معرضة للخطر والتهديد ، ويمكن أن تقع منطقة الخليج الفارسي كلها في أيدي العرب .

أما صحيفة « لوموند » الفرنسية فقد كشفت خطة انكلترا في عمان بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٧ وتتلخص فيما يلي : —

أولاً — تركيز عمليات السلاح الجوي البريطاني على قوات الوطنيين العمانيين .

ثانياً — تحصين واحة البريمي حتى لا تتسرب إليها قوات الوطنيين .

ثالثاً — احتلال إقليم عمان بواسطة قوات السلطان البرية بعد أن يكون سلاح الطيران قد شنت شمال الوطنيين .
رابعاً — قيام الأسطول الحربى البريطانى بمحاصر الشواطىء وغلق الخليج الفارسى لمنع تسرب الأسلحة إلى الوطنيين .

موقف أمريكا :

إن موقف أمريكا من قضية عمان لا يتعارض مع سياسة بريطانيا فكلاهما يرى فى ثورة عمان خطراً عليه ويعتبر النزاع فرصة سانحة للقوى العربية فى هذه المنطقة التى تريد التخلص نهائياً من شركات البترول الاستعمارية . كما يرى أن نجاح الثورة سيكون دافعاً لإمارات الجزيرة العربية على مناهضة النفوذ الغربى وإشعال الثورة التحررية فى المنطقة بأسرها وانتصار القومية العربية .

موقف الجامعة العربية :

اتخذ مجلس الجامعة العربية القرارات التالية فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٧ : —

أولاً — اعتبار تدخل القوات البريطانية المسلحة فى عمان اعتداءً صارخاً على استقلالها وسيادتها وسلامة أراضيها .

ثانياً — قيام الدول الأعضاء بعمل جماعى مشترك ، وذلك بطلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن للنظر فى هذه القضية ووقف تدخل

القوات العسكرية البريطانية ضد عمان بوصفه مهدداً للسلم والأمن في الشرق الأوسط ومخالفاً لأحكام القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة .
ثالثاً — بذل المساعي العاجلة من قبل الدول العربية لدى أعضاء الأمم المتحدة لتأييد عمان في قضيتها العادلة .

موقف مصر :

اتخذ مجلس الأمة المصري بالإجماع قراراً استنكر فيه اعتداء بريطانيا على شعب عمان المسلم وهذا نص القرار : —
« يقرر مجلس الأمة لجمهورية مصر أنه باسم الشعب المصري يستنكر أشد الاستنكار الاعتداءات الوحشية على الشعب العربي المسلم في عمان واستخدامها أسلحة الدمار في تخريب المدن والقرى والفتك بالسكان الآمنين الذين لا ذنب لهم إلا سعيهم للتحرر من السيطرة الأجنبية .
ومجلس الأمة يهيب بالهيئات النيابية في العالم أن تشاركه الاحتجاج على تلك الفظائع وحمل حكوماتها على التدخل لوضع حد لها تحقيقاً لمبادئ الأمم المتحدة واحتراماً لحقوق الإنسان :

النصر للشعوب :

المعركة في عمان هي جزء من المعركة التي تخوضها القومية العربية اليوم . والحركة الوطنية في عمان لا بد أن تنتصر مادامت تمتد إليها يد العون والصدقة والمساعدة من كل البلاد العربية المتحررة والدول المحبة للحرية والسلم . وسيكون انتصار شعب عمان مرحلة جديدة من مراحل تطور القومية العربية والانتصار على الاحتكارات الاستعمارية .

باب الحرية

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

الاستراتيجية البريطانية للخليج :

إن بريطانيا بعد أن فقدت نفوذها وخسرت اقتصادياتها بعد الحرب الثانية تحاول بكل الوسائل التثبيت بمنطقة الخليج العربي الغنية الموارد . فهذه المنطقة بالنسبة لها الآن مسألة حياة أو موت لأن فقدانها يعني تدهور الاقتصاد البريطاني إلى درجة الحضيض وجعل بريطانيا في مصاف الدول الفقيرة .

وتحتكر بريطانيا في الخليج العربي شركة الملاحة منذ عشرات السنين المعروفة باسم « شركة الملاحة البريطانية الهندية » كما أنها تحتكر شركات الطيران ، وبعض الشركات التجارية الأخرى .

وإذا عرفنا قيمة دخل هذه الشركات وعرفنا أن الفائض من أموال حكومة الكويت من عوائد النفط والمودع في بنوك انكلترا يبلغ ستمائة مليون جنيه عرفنا سر تثبيت بريطانيا بهذه المنطقة الحيوية الهامة . وعلى هذا فإن الاستراتيجية البريطانية كما اطلمت عليها تقوم كالآتي : —

١ — تعزيز القوات العسكرية المرابطة وإنشاء القواعد وتوسيع المطارات وبناء الشبكات وتنسيق الخطط العسكرية بين مختلف المناطق تحت إشراف وزارة المستعمرات البريطانية .

٢ — مقاومة الانجاعات الوطنية والثورية والتشدد في قمعها

بلا هوادة ومطاردة العناصر الوطنية بالتعاون الكامل مع الحكام
الرجعيين الموالين لبريطانيا .

٣ — عزل منطقة الخليج العربي عن الكتلة العربية سياسياً
واقتصادياً وثقافياً .

٤ — تركيز قوات ضاربة من المشاة والأسطول والطيران تكون
مستعدة دائماً لاستخدامها عند ما تقتضى الضرورة ومركز هذه القوات
الآن في البحرين .

٥ — إخضاع المنطقة اقتصادياً لبريطانيا والسيطرة على مصادرها
المعدنية والبتروولية وإشراف بريطانيا الكامل على اقتصاديات المنطقة
ومشاريعها وربطها بالكتلة الأسترلينية .

هذه هي الخطط التي وضعتها بريطانيا لمنطقة الخليج العربي
ولكنها نست أن هذه الخطط ستبوء كلها بالفشل في النهاية أمام قوى
الشعوب التي تكافح لنيل حريتها واستقلالها .

وستصل شعوب هذه المنطقة إلى تحقيق أهدافها إذا تكتلت
صفوفها وتوحدت جموعها لمحاربة عدو واحد هو السرطان في جسم
الأمة العربية ألا وهو الاستعمار .
وسياتى اليوم الذى نسكون فيه أحراراً في أراضينا وتكون
ثرواتنا ملكاً لشعوبنا .

الفهرس

الصفحة

٥

❖ صنيعة الاستعمار الأكبر

٣٥

❖ وكلاء الاستعمار

٤٩

❖ قصة عمان

٦١

❖ باب الحرية

13

التمن ١٠ قروش

الناشر : المؤلف

جميع بدار الكتاب العربي بمصر

To: www.al-mostafa.com